

ولما كانت الالهة القديمة مرآة لتفكير اتباعها فقد رأينا العبريين يسبغون على يهوه الخلود الذي منحوه لانفسهم مثلما اسبغت بابل الزوال والغير على الالهة التي عبدتها. أصبح يهوه اله الحرب الذي لا يقهر او يزول ، واصبح بقاء اسرائيل جزءا من بقائه . نشأت هنا علاقة وطيدة بين العابد والمعبود نستشف منها علاقة اشبه بعلاقة الابوة القبلية . اسرائيل هي التجسيم الكامل للذات الالهية كما قال لوزاتو . ونجد صدى لمثل هذه النظرة في مقاطع كثيرة من العهد القديم بينما دأب التلمود على تسمية اليهود بآبناء الواحد الاعلى . ومن الناحية الاخرى تؤيد العبادة الفيتيشية\* التي اتبعتها اسرائيل حسب رأي ادوارد ماير(ه) والتنظيم المعبدي والقبلي مثل تلك النظرة اذا اقررنا بان تابوت الرب الذي تتوجه اليه الصلاة هو في الواقع فيتش او طوطم لا اكثر وان الطوطم هو تقليديا روح او جسم اب او جد عظيم الشأن .

بعد اجيال قليلة تعرض هذا الشعب الناشيء المفرط الحس القلق النفسية الى صدمة رضية (تروما) في سني ترعرعه الاولى . لقد قدر له ان يخوض حروبا مستمرة ضد قدماء الفلسطينيين الذين تفوقوا عليه بمعرفتهم صهر الحديد ومن ثم صنع الاسلحة . وبعد هزيمة مرة في معركة بن عيزر وقع قادة اسرائيل بالخطأ المهلك بان قرروا سد الهوة التكنولوجية بشحنة دينية . قرروا اخراج تابوت الرب وتسليمه مقدمة الجيش ظنا بان اله الحرب سيكفي فعلا لكسب الحرب . كانت النتيجة سقوط التابوت اسيرا بيد الفلسطينيين بعد هزيمة دامية . وبالرغم من العفوية التي يروي بها سفر صاموئيل المعركة ، فان عباراتها مشحونة بالدلالات . يحمل النبا الى المدينة رجل شق ثوبه وغفر رأسه بالتراب — العلامات التقليدية على موت عزيز . يجسد في طريقته عالي (حاكم اسرائيل) متنكبا قارعة الطريق قلحا على تابوت الرب . فما ان يسمع عالي صراخ المدينة ويدرك الخبر حتى يسقط فيكسر رقبته فيموت . ويسرع المخاض الى كئنه فتلد ولدا تسميه اخابود قائلة « قد زال المجد عن اسرائيل لان تابوت الله قد أخذ » (٦) .

وغاشت اسرائيل الفترة النالية في وجوم وفوضى متخذة لنفسها آلهة اخرى . ولاول مرة شعرت بشذوذها فردد أبنائها نريد ملكا كبقية الشعوب . مات الرب عاش الملك . فكان ان نصبوا شاول على العرش ، ولا يخلو هذا من فحواه فقد كان اول ملك لامرائيل مبتل بنوبات دورية من الكآبة والالمنخوليا والبارانويا . وبالرغم من اعادة تابوت الرب اليهم فان هؤلاء تركوه منسيا في زاوية من بيت ابينادب كشيء من سقط المتاع . وعندما أعيد له اعتباره ، نهجوا تدريجيا على اسقاط اسمه والاشارة اليه بكلمة « ادوني » ، أي الرب او السيد بدلا من اسمه الصريح « يهوه » الذي كان شائعا قبلا . من تقاليد الحداد الشائعة عند الساميين الامتناع عن ذكر اسم المتوفى .

ولا بد من طرح السؤال بعد مأساة بن عيزر : ما الذي اودى بيهوه ، اله الحرب الابدي السرمدى ؟ ولا بد ان جاء الجواب بالكلمات التي طالما وردت كلما حلت كارثة باسرائيل . انه انقسامهم وعصيانهم وكفرانهم . لقد قصروا بحق الرب فتركوه يسقط في المعركة . انها بعبارة اخرى جريمة قتل الرب (ديسايد) . وبالنظر اليها من الزاوية الاوديبية الفروييدية قتل الاب (بترسايد) نظرا لسمة الابناء — الاب التي وسموا بها علاقة اسرائيل بالرب .

وبرأي اهل التحليل النفسي ، ان مثل هذا التوهم يؤدي اخيرا الى مركب الاثم ، ومن ثم الكآبة ولا سيما عندما يجابه مواقف مساعدة . والتقى العبريون بكثير من هذه